جماليات القناع وتجلياته في شعر عبد الرزاق عبد الواحد: دراسة فنية دلالية

م. م. رشيد عبد جديع

وزارة التربية– المديرية العامة لتربية الانبار

rasheedabed1970@gmail.com

تاريخ الاستلام 2026/5/18 تاريخ القبول 2026/8/9 تاريخ النشر 2026/8/30

الملخص:

يُمثّل "القناع" في سياقات الشعر العربي الحديث إحدى أبرز التقنيات الفنية التي وظّفها الشعراء للتعبير عن المواقف الفكرية، والسياسية، والوجودية، متجاوزين بها حدود الخبرة الذاتية المباشرة. ويأتي شعر عبد الرزاق عبد الواحد (1930–2015) نموذجاً بارزاً لهذا التوظيف، إذ اتخذ من القناع وسيلةً جمالية وفكرية تمنح النص أبعاداً درامية متعددة الأصوات والدلالات، مما يُحيل القصيدة إلى فضاءٍ يتجاوز حدود الزمان والمكان. لا يعد القناع لدى عبد الواحد حيلةً شكليةً عابرة، بل هو بنيةٌ دلاليةٌ عميقةٌ تُثري النص، وتفتح آفاقاً رحبة للتأويل، وتُجسّد تفاعل الشاعر مع التراث والواقع الراهن في آنٍ واحد .وبناءً على ذلك، سعت هذه الدراسة الفنية الدلالية إلى استكشاف تجليات القناع في نصوص الشاعر، موضحةً أنه ليس مجرد تقنيةٍ فنية، بل أداةٌ فكرية وظّفها الشاعر ليعبر عن همومه الوطنية، والوجودية، وليتجاوز أساليب التعبير المباشرة في طرح مواقفه السياسية والاجتماعية. وقد تنوعت الأقنعة في نصوصه بين التاريخية، والدينية، والشعبية، والرمزية، مما أتاح له خلق نصوصٍ ذات طاقةٍ دراميةٍ عالية، تتداخل فيها الأصوات وتتصارع لتعكس مأساة العراق، وصموده، وتطلعه نحو النهضة. وفي المحصلة، يؤكد البحث أن القناع لدى عبد الواحد يُعدّ وسيلةً للتمويه الفني من جهة، وأداةً للكشف عن مكنونات الذاكرة الجماعية والتاريخ من جهة أخرى، مُحوّلاً صوت الشاعر الفردي إلى صوتٍ جمعي مُعبّر عن الفجيعة والأمل.

الكلمات المفتاحية: القناع، جماليات القناع، عبد الرزاق عبد الواحد.

Aesthetics of the Persona and its Manifestations in the Poetry of Abdul Razzaq Abdul Wahid: An Artistic and Semantic Study

Rashid Abd Jadie
Ministry of Education- General Directorate of Anbar Education

Abstract:

The "mask" in modern Arabic poetry represents one of the most prominent artistic techniques employed by poets to express intellectual, political, and existential stances, transcending the limits of direct subjective experience. The poetry of Abdul Razzaq Abdul Wahid (1930–2015) serves as a significant model for this technique; he utilized the mask as an aesthetic and intellectual tool that imbues the text with dramatic dimensions, multiple voices, and profound meanings, transforming the poem into a space that transcends the boundaries of time and space. For Abdul Wahid, the mask is not a mere formal device; rather, it is a deep semantic structure that enriches the text, opens new horizons for interpretation, and embodies the poet's interaction with both heritage and contemporary reality simultaneously. Accordingly, this artistic and semantic study explores the manifestations of the mask in the poet's works, demonstrating that it is not merely an artistic technique but an intellectual tool utilized to express his national and existential concerns, moving beyond direct expressions of his political and social positions. The masks in his texts vary between historical, religious, popular, and symbolic forms, allowing him to create texts with high dramatic energy, where voices intertwine and clash to reflect the tragedy of Iraq, its resilience, and its aspiration for renaissance. Ultimately, this research affirms that the mask for Abdul Wahid serves as a means of artistic disguise on the one hand, and a tool for revealing the layers of collective memory and history on the other, transforming the poet's individual voice into a collective one that expresses both grief and hope.

Keywords: Mask, Aesthetics of the Mask, Abdul Razzaq Abdul Wahid.

المقدمة:

يُمثّل "القناع" في سياقات الشعر العربي الحديث إحدى أبرز التقنيات الفنية التي وظّفها الشعراء للتعبير عن المواقف الفكرية، والسياسية، والوجودية؛ لما أتاحه للشاعر من قدرة على التخفّي خلف شخصيات تاريخية، أو أسطورية، أو رمزية، ليبث من خلالها رؤيته الخاصة، ويمنح النص بُعداً جمالياً متعدد الأصوات والدلالات .ويأتي شعر عبد الرزاق عبد الواحد (1930–2015) مثالاً ناصعاً على هذا التوظيف؛ إذ استطاع أن يجعل من القناع وسيلةً للتعبير عن قضايا وطنية وإنسانية، مُحوّلاً القصيدة إلى فضاءٍ درامي تتصارع فيه الأصوات والرؤى، مستدعياً شخصيات تراثية ليُحمّلها معاناة الشعب العراقي وتجربته مع الحرب والاغتراب .

إنَّ تقنية القناع في الشعر العربي المعاصر تتسم بكونها محاولةً بحثيةً لإيجاد أشكال تعبيرية تتجاوز حدود الخبرة الذاتية، وإيجاد معادلاتٍ موضوعية تتناغم مع تعقيدات الحاجة الفنية؛ فصانع القصيدة لم يكتفِ بكسر قيود الوزن والقافية، بل لجأ إلى الرمز والأسطورة والقناع لتجاوز التعبير التقريري المباشر إلى فضاءات أكثر إيحاءً وإثارةً .

وعلى الرغم من وجود دراسات تناولت تقنية القناع في الشعر العراقي الحديث، مثل دراسة ضياء الثامري، وبعض المقاربات التي عالجت الرمز الديني في شعر عبد الرزاق عبد الواحد، إلا أنَّ تجربة القناع لدى عبد الواحد تظل بحاجة إلى قراءةٍ نقديةٍ فنيةٍ دلاليةٍ متخصصةٍ، ترصد تطور هذه التقنية وتجلياتها الجمالية في ضوء المقاربات النقدية الحديثة التي تناولت مفهوم الصوت الشعري عند صلاح فضل وكمال أبو ديب. إنَّ دراسة جماليات القناع في شعر عبد الرزاق عبد الواحد تكشف عن وعي الشاعر بالوظيفة الرمزية والدرامية، وقدرته على تحويل القناع إلى بنيةٍ دلاليةٍ تُثري النص وتفتح آفاقاً جديدة للتأويل؛ وبناءً على ذلك، يسعى هذا البحث إلى تحليل جماليات القناع وتجلياته في شعر عبد الرزاق عبد الواحد من خلال الوقوف على أبعاده الرمزية، والجمالية، والنفسية، وصولاً إلى إبراز دورها في إثراء التجربة الشعرية العربية الحديثة.

تعتمد هذه الدراسة في مقاربتها لتقنية القناع على المنهج البنيوي–الجمالي؛ إذ لا ينظر القناع بوصفه استدعاءً تراثياً فحسب، بل بنيةً نصيةً لها علاقاتها الداخلية ودلالاتها الوظيفية. كما يستعين البحث ببعض أدوات النقد الثقافي لرصد الكيفية التي استثمر بها الشاعر الموروث التاريخي والديني لتمرير

خطابه السياسي والوجودي، والبحث في طبيعة التحولات الدلالية التي طرأت على الرموز المستدعاة عند إدخالها في السياق الشعري المعاصر".

مشكلة البحث:

تتفرع الإشكالية الرئيسة لهذا البحث إلى الأسئلة الفرعية الآتية:

1. ما هي الأنماط والتشكيلات الجمالية التي اتخذها "القناع" في شعر عبد الرزاق عبد الواحد؟
2. كيف أسهم توظيف القناع في تحويل القصيدة إلى فضاءٍ درامي متعدد الأصوات والدلالات؟
3. ما طبيعة الفارق الفني بين القناع والرمز البسيط في الممارسة الإبداعية للشاعر؟
4. كيف يعكس هذا القناع الجدلية بين "الذات الشاعرة" و"التراث" في مواجهة الواقع الراهن؟

فرضية البحث:

إنّ توظيف "القناع" في تجربة عبد الرزاق عبد الواحد الشعرية لم يكن مجرد تقنية أسلوبية للتخفي أو الزخرفة الجمالية، بل شكّل الركيزة البنائية التي انتقلت بالقصيدة من الغنائية الفردية إلى الدرامية متعددة الأصوات، محققاً من خلالها الشاعر صياغة أسطورية ورؤيوية للواقع المعاصر عبر استدعاء التراث.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذه الدراسة في محاولتها استكشاف دور القناع كآلية فنية مركزية في بناء النص الشعري الحداثي، وتبيان العلاقة الجدلية بين الشعر والواقع السياسي والاجتماعي، من خلال قراءة رمزية تتجاوز أساليب المباشرة والتقريرية .

منهج البحث:

يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، مع الاستئناس بالمنهج السيميائي في الجانب التطبيقي لتفكيك العلامات والرموز، والاستعانة بالمقاربات النقدية الحديثة في دراسة بنية القناع الشعري .

حدود البحث:

يقتصر البحث على دراسة جماليات القناع وتجلياته في نصوص مختارة من شعر عبد الرزاق عبد الواحد، بوصفها عينةً تطبيقيةً تمثل هذا التوجه الفني.

المحور الأول: القناع في النقد الأدبي

أولاً: مفهوم القناع وتجلياته الاصطلاحية

يُحيل مصطلح "القناع" في دلالته اللغوية إلى ما تتقنّع به المرأة من ثوبٍ لتغطية رأسها ومحاسنها[1]، أما في الحقل الاصطلاحي، فقد تباينت المقاربات النقدية في تحديده؛ إذ يُعرّفه عبد الوهاب البياتي بأنه: "ما يتحدث من خلاله الشاعر عن نفسه متجرداً من ذاتيته؛ أي إن الشاعر يعمد إلى خلق وجودٍ مستقل عن ذاته، فهو ما يرتديه ليتكلم من خلال شخصه [2]. ويُضيف إحسان عباس بُعداً تاريخياً لهذا المفهوم، مؤكداً أنه "شخصية تاريخية غالباً، يختبئ الشاعر وراءها ليعبّر عن موقفٍ يريده، أو ليحاكم نقائص العصر الحديث[3].

وفي سياقٍ سيميائي، يرى خليل موسى أن القناع في حقيقته "رمزٌ يتخذه الشاعر ليضفي على صوته نبرةً موضوعية[4]"، وهو ما يفتح النص على أنماطٍ من العلاقة الجدلية بين الشاعر وتراثه، مما يُعزز "الإيجاز الدلالي" ويُوسع آفاقه لاستيعاب الدلالات المتقابلة والمتناقضة[5]. إنَّ هذه الموضوعية لا تعني حياداً مطلقاً، بل هي وسيلةٌ لتقديم الشخصية بضمير المتكلم، حيث يمتزج صوت الشاعر بصوت الشخصية المستدعاة[6] ليخلقا معاً كياناً دلالياً مشحوناً بمرجعياتٍ تاريخية وثقافية معروفة سلفاً.

هذا الاستدعاء يمنح الخطاب الشعري فاعليةً كبرى في تبيان المفارقة بين الماضي والواقع المعاصر [7]؛ إذ نجد أنفسنا أمام التقاء عالمين متناقضين يكشفان عن اتساع الشقة بين الواقع العربي الراهن وما كان عليه في جذوره التاريخية. وتُمثل معطيات التراث هنا "منجماً" غنياً بالإيحاء والقدرة على التأثير في المتلقي، مما يدفع الشاعر الحداثي إلى استيعاب الواقع استيعاباً درامياً يتجاوز الأشكال الغنائية الصرفة. وعليه، يرتكز القناع على "استدعاء النقيض لكشف نقيضه"، أو استدعاء الشخصية ذات الملامح الإيجابية لتقوم بدور المُعرّي للوضعية القائمة، وذلك عبر التجاور الذي يُفضي ضمنياً إلى المقارنة دون حاجةٍ إلى تقريريةٍ مباشرة[8]. إنَّ القناع—بوصفه استعارةً موسعة—يتمثل في حوارٍ داخلي بين (الأنا الذات) و(الأنا الموضوع)، وحوارٍ خارجي يجمع الشخصيات التراثية لتفسير الحاضر [9]. بهذا، يصهر الشاعر ذاته في الشخصية المستدعاة، لينتج مستويين للنص: مستوىً للتجربة الشخصية، ومستوىً للتجربة الموضوعية العامة التي لا أثر لنبرة الذات المباشرة فيها[10]، مما يجعل القناع وسيطاً

دراماياً يربط بين النص والقارئ[11]، وتقنيةً تكسر حدة الغنائية والمباشرة للوصول إلى معادلات موضوعية[12]

ثانياً: وظيفة القناع الفنية

يُعدّ "القناع" في الممارسة الإبداعية ظاهرةً سبقت التنظير النقدي لها؛ إذ تبلورت تقنياتُه في نصوص الشعراء قبل أن يترسخ كاصطلاحٍ نقدي[13]. وعلى الرغم من تأخر تداول هذا المصطلح في النقد العربي إلى ما بعد صدور "تجربتي الشعرية" لعبد الوهاب البياتي عام 1968م، إلا أن الجذور التاريخية لاستخدام القناع بوصفه "صورةً رمزية" ضاربة في القدم[14]. وقد انتقلت هذه التقنية إلى الشعر العربي الحديث متأثرةً بحركة الشعر الحر في منتصف القرن العشرين، لتتحول من مجرد "أداة زينة" إلى "بنية مركزية" فاعلة في تشكيل النص[15].

تكمن الوظيفة الفنية للقناع في تلبية حاجة الشاعر المعاصر للتعبير عن واقعٍ يزداد تعقيداً؛ فالتاريخ لا يُستدعى هنا كمرجعيةٍ تراثية جامدة، بل كـ "إعادة إنتاج" للشخصيات في سياقٍ حداثي يربط بين الذات والعالم[16]. وبذلك، لا يقتصر القناع على كونه "معادلاً موضوعياً" بمفهومه الإليوتي، بل يتجاوزه ليصبح أداةً هيكلية تتعدد وظائفها وفق الآتي:

1. **إثراء البنية الدرامية** :يُفضي القناع إلى كسر رتابة الغنائية الأحادية، محققاً طابعاً حوارياً يمنح القصيدة ديناميكية داخلية عبر تداخل الأصوات[17]
2. **توسيع الأفق الرمزي** :يتحول القناع إلى عدسةٍ مكبرة تمنح الشخصيات التاريخية أو الأسطورية أبعاداً دلالية معاصرة، مما يفتح النص على تأويلات لا نهائية تتجاوز السطح التاريخي إلى دلالات الراهن[18]
3. **التواري الفني (حماية الذات)** :يعمل القناع وسيطاً فنياً يتيح للشاعر ممارسة نقدٍ فكري أو سياسي مُبطن، متجاوزاً بذلك صدامات الرقابة والمباشرة، مما يجعله أداة للتعبير الحر[19]
4. **خلق المفارقة الجمالية** :يُنشئ القناع فجوةً تباينية بين "صوت الشاعر" و"صوت الشخصية"، وهذه المفارقة هي التي تمنح القصيدة خصوصيتها الجمالية، وتُخرجها من نمطية الأسلوب التقريري[20].
5. **تجسيد البعد النفسي (الإسقاط)** :يوظف الشاعرُ القناعَ وسيلةً تنفيسية يُسقط من خلالها هواجسه ومخاوفه العميقة، محولاً الصراعات النفسية الخاصة إلى دراما إنسانية عامة[21] ، وهو ما يعزز الأثر الوجداني في القصيدة[22].

في المحصلة، ليس القناع قشوراً شكلية، بل هو "فاعليةٌ خلاقة" تعيد الشعر إلى جوهره بوصفه وسيطاً يربط بين اللغة، والعاطفة، والفكر، في بنية تعيد تشكيل التاريخ لخدمة رؤية الشاعر للحاضر.

ثالثاً: الفرق بين القناع والرمز البسيط

يرتبط مفهوم "القناع" في الممارسة النقدية العربية بأواصر وثيقة مع "الرمز"، غير أن التمييز بينهما يعد ضرورة منهجية لإدراك كنه التجربة الشعرية[23]. ففي حين كان الشاعر العربي قديماً يستحضر الرموز (كالسيف، والفرس، والدرع) في إطار خطابي ذاتي مباشر، انتقل الشاعر الحديث إلى "التعبير بالتراث" لا "التعبير عنه"، محولاً الرمز من دلالة ثابتة إلى طاقة فاعلة تستوعب الهموم القومية والحضارية في سياق جدلي بين الشاعر والمتلقي[24]

وتكمن الإشكالية النقدية في تحديد مستويات توظيف الموروث، والتي تتأرجح بين نمطين أساسيين:

1. **الإشارة التراثية (التوظيف التقريري)** :تتمثل في استحضار الشاعر للرمز التراثي أو الحدث التاريخي في قالب وصفي عابر، يفتقر إلى الشحن الدلالي العميق[25]. وفي هذا النمط، يتجه الشاعر إلى "تصوير التراث لذاته"، مكتفياً بالسرد التاريخي الذي لا يردم الفجوة بين الماضي والحاضر، مما يجعل القصيدة أشبه بنقل تقريري مباشر يغني عنه الرجوع إلى كتب التاريخ؛ لذا تظل هذه "الإشارة" قاصرة عن تحقيق الالتحام العضوي بين لحظة الشاعر المعاصرة وتجربة التراث[26].
2. **الرمز المكثف (التوظيف الوظيفي)** :يُعد ارتقاءً فنياً بالرمز، حيث يصبح التوظيف نابعاً من "تمثّل واعٍ" للمادة التراثية بعد هضمها، فتتحول الأسطورة أو الشخصية إلى لحمة القصيدة وسداها[27]. فالرمز هنا ليس غاية في حد ذاته، بل وسيلة بنائية تُنظم القصيدة وتمنحها عمقاً فلسفياً، إذ يقوم الشاعر بقلب المواقف أو تحويرها أو حذف بعض جوانبها مع الحفاظ على ملمحها الحاد، ليعيد إنتاجها في سياق معاصر.

الخلاصة: بينما يظل الرمز البسيط (أو الإشارة) حبيس دلالاته التراثية الجاهزة، يتجاوز "القناع" حدود الرمز الفردي ليصهر الماضي في الحاضر؛ فالشاعر لا يكتفي بالتماهي مع التراث، بل يجرد الرمز من سكونيته ليحمله أبعاداً حداثية تتخطى حدود الزمان والمكان. هذا التفاعل هو الذي يمنح القصيدة "عراقتها وأصالتها"، حيث تصبح الرؤية الشعرية بنية كلية تتعانق فيها الجذور التاريخية مع الواقع المتغير.

رابعاً: أنماط القناع وتشكيلاته البنائية

لا تقتصر تقنية "القناع" على نمطٍ واحد، بل تتعدد تشكيلاتها البنائية تبعاً لرؤية الشاعر الفنية، ومدى قدرته على صهر الرموز والشخصيات المستدعاة في بوتقة التجربة الشعرية[28]. ويمكن تصنيف هذه الأنماط في المستويات الآتية:

1. **القناع البسيط (الأحادي)** :يعتمد هذا النمط على توظيف شخصيةٍ مفردة يتقمصها المبدع ليُسقط عليها تجربته المعاصرة بأبعادها النفسية والوجودية. ولا يقتصر هذا التوظيف على المحاكاة السطحية، بل يستلزم "عِشراً" فكرياً ووجدانياً للشخصية، يُمكن الشاعر من تمثل ظروف عصرها وهضم مكوناتها؛ لتصبح الشخصية بذلك مركزاً للعمل الشعري تتحد فيه ذات الشاعر مع ملامح القناع[29].
2. **القناع المركب (المتعدد أو المضاعف)** :يمثل هذا النمط تعقيداً بنيوياً قائماً على تمازج وتداخل مجموعة من الشخصيات والرموز في آنٍ واحد. وفي هذا التشكيل، يُحيط المبدع تجربته بأغلفةٍ نصية إضافية عبر إسناد أدوار محددة لشخصيات مساعدة، تنسج فيما بينها "حبكات فرعية" تصب جميعها في العقدة الرئيسية للنص. ويكمن نجاح هذا القناع في خلق توازن دقيق بين تعدد الأصوات (تعددية الأقنعة) ووحدة التجربة، بحيث تؤدي كل شخصية وظيفتها في بناء العالم الشعري دون أن يؤدي ذلك إلى تشتت الرؤية أو تصدع البنية[30].
3. **القناع المخترع (المبتكر)** :يتجاوز الشاعر في هذا النمط المرجعيات الجاهزة—تاريخيةً كانت أو أسطورية—ليبتكر رموزاً وشخصيات خاصة به. ويتيح هذا القناع للمبدع تفاعلاً ذا خصوصية عالية، إذ تتحرر التجربة من إسار "الترسبات الفكرية" للمواضعات التراثية السابقة[31]. ويُعد هذا النمط تجسيداً حقيقياً لـ "المسافة الجمالية"؛ إذ يُحدث صدمةً في أفق توقعات القارئ، خالقاً فجوةً بين التخمينات المسبقة وما يطرحه النص من دلالاتٍ مبتكرة تمنح القصيدة فضاءً حراً يتجاوز المألوف.

المحور الثاني: أنماط القناع في شعر عبد الرزاق عبد الواحد

على الرغم من غزارة المنجز الشعري لعبد الرزاق عبد الواحد وتنوع موضوعاته، إلا أن تقنية "القناع" لم تكن الأداة المهيمنة على تجربته الشعرية؛ إذ لعلَّ انخراط الشاعر في قلب الخطاب السياسي—

لاسيما خلال ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين—قد جعل من الخطاب المباشر أداةً أكثر تواؤماً مع طبيعة تجربته. ومع ذلك، فإن حضور القناع في بعض نصوصه يتميز بالتفرد والوعي الجمالي؛ فهو لا يوظفه بوصفه "ستاراً" للتخفي فحسب، بل بوصفه تقنيةً تهدف إلى "توسيع المُخاطب" في النص، وتجاوز حدود التقريرية السياسية إلى رحابة الرمز الإنساني.

ومن الضروري التأكيد منهجياً على أنَّ القناع عند عبد الرزاق عبد الواحد يتجاوز 'الرمز' بوصفه إشارةً دلالية (Symbol) ليتحول إلى 'تقمصٍ فني (Persona)' فالرمز قد يظل خارجياً أو وصفياً، أما القناع فيقتضي 'التماهي' والحلول؛ حيث يستعير الشاعر كيان الشخصية (أصواتها، آلامها، وعيها) ليكون هو الناطق باسمها، وهذا ما يمنح تجربته هذا البعد الدرامي المتفرد.

وعند فحص نصوص الشاعر، نجد أن توظيف القناع يتخذ مسارين رئيسيين:

1. **المسار التوظيفي:** حيث يستحضر الشاعر الشخصيات التاريخية والدينية والأسطورية ليتخذها "قناعاً" يعبر من خلاله عن همومه الوطنية والوجودية، مما يحول النص إلى بنيةٍ حواريةٍ بين الماضي والحاضر.
2. **المسار الإسقاطي:** حيث تتحول الشخصيات أو الأحداث إلى رموزٍ معاصرة؛ ففي قصيدته "عام الفيل"، على سبيل المثال، لا يستدعي الشاعر حادثة هدم الكعبة بوصفها حدثاً تاريخياً مجرداً، بل يوظفها "قناعاً" دلالياً يُسلط من خلاله الضوء على عدوانية الاحتلال الحديث، محولاً الحدث التاريخي إلى مرآةٍ للواقع السياسي الراهن[32].

إنَّ براعة عبد الرزاق عبد الواحد تكمن في قدرته على تداخل الرموز التراثية مع النصوص القرآنية والموروث الديني، مما يمنح نصوصه "شرعيةً أخلاقية" تتجاوز حدود الزمن، ويجعل من الرموز وسائلَ منتجةً للمعنى لا يمكن فك شفرتها إلا في سياقها الشعري[33]. وبذلك، لا يغدو الرمز مجرد استحضارٍ للمألوف، بل يصبح أداةً وجوديةً تعبر عن قضايا الحرية، والموت، والخلود، مما يخرج قصيدته من إطار الغنائية الفردية إلى فضاء الدراما القومية والحضارية.

أولاً: القناع الديني والتاريخي (بنية التداخل والتقمص)

يُمثل القناع في تجربة عبد الرزاق عبد الواحد خياراً جمالياً واعياً يتجاوز حدود السرد التقريري إلى فضاء التكثيف الرمزي؛ إذ يستحضر الشاعر الشخصيات التاريخية والدينية ليحولها إلى أقنعةٍ وجودية تعكس مأساة الذات والوطن.

1. **القناع بوصفه وسيطاً للرؤية الوجودية:** في بواكير الشاعر، ولاسيما قصيدة "لعنة الشيطان"، يتجلى القناع أداةً لتجسيد "الشر المطلق" بوصفه قوةً عابرة للزمان والمكان. فالشخصيات المستدعاة—الشيطان، الطفل، الأم—ليست عناصر سردية عابرة، بل أقنعة لوجودٍ بشري مأزوم[34]. فـ "الطفل" يغدو قناعاً للبراءة المهددة في عالمٍ مشبع باللعنة، و"الأم" تتحول إلى قناعٍ لذاكرةٍ مثقلة بالفقد، مما يخلق مفارقةً درامية بين طهارة السؤال الطفولي وقسوة الواقع[35]. وفي السياق ذاته، يوظف الشاعر "قناع المعلم" في نصوصه التأملية لسبر أغوار الفضول المعرفي، حيث يتحدث بلسان هذه الشخصية ليعبر عن قلقه الروحي وتوقه للرؤية الإلهية، لتمنح التجربة أبعاداً ميتافيزيقية تتجاوز أطر الواقع الملموس[36].
2. **القناع التناصي (التماهي والتوسع الدلالي):** يمارس الشاعر نوعاً من "الاستعارة القناعية" عبر التناص الديني؛ ففي قصائده في مدح السيدة زينب (عليها السلام)، يستدعي قناع "مريم العذراء" ليُسقطه على الموصوفة. هذا القناع لا يهدف إلى المطابقة، بل إلى إثراء الدلالة عبر استحضار منظومة "الطهر والعفة والشموخ أمام الظلم"، لنقل هذه الصفات للمقصودة. هذا الأسلوب يُعد توسيعاً لمجال التلقي، إذ يربط بين الرموز المقدسة في وعي المتلقي الجمعي لإنتاج دلالةٍ جديدة تتجاوز حدود النص[37].
3. **القناع الشعبي: رمزية الصبر والوطن:** في قصيدة "يا صبر أيوب"، يبرز "القناع الشعبي" بوصفه أداةً لتكثيف المأساة الوطنية؛ إذ يوظف الشاعر حكاية "المخرز في جنب الجمل" بوصفها معادلاً موضوعياً لصبر العراق. الجمل هنا ليس مجرد رمز حيواني، بل هو قناعٌ للوطن الذي يحمل أعباء التاريخ وجراح الحروب بصمتٍ بطولي. هذا القناع، المستمد من الذاكرة الشعبية، يمتلك فاعليةً عالية في التأثير؛ لقربه من الوجدان الجمعي، وقدرته على اختزال المأساة السياسية في صورةٍ رمزيةٍ بليغة[38].
4. **القناع الدرامي: مسرحية "الحر الرياحي":** تبلغ تقنية القناع ذروتها في مسرحية "الحر الرياحي"؛ حيث يُحول الشاعر الشخصيات التاريخية إلى "أقنعةٍ داخلية". فـ "الهاجس" ليس صوتاً خارجياً، بل هو القناع الذي يفضح تصدع الذات بين الضمير والسلطة. أما "الشمر"، فقد تقمصه الشاعر لا ليدين الشر فحسب، بل ليجعله قناعاً للذنب الذي يلاحق القاتل، مما يمنح الشخصية أبعاداً نفسية كونية. وتتوج هذه الأقنعة باستدعاء "المسيح" كقناعٍ إنسانيٍ شاملٍ للفداء؛ ليربط بين مأساة

كربلاء ومأساة الإنسان المصلوب في كل زمان ومكان. إنَّ هذا التداخل بين الأصوات يحول المسرحية إلى فضاءٍ متعدد الأصوات (Polyphonic)، يؤكد قدرة الشاعر على جعل التاريخ نصاً مفتوحاً على إنسانية الذات ومسؤوليتها الأخلاقية.

ثانياً: القناع المركب وتعدد الأصوات (بنية المسرح الداخلي)

لا يتوقف القناع في تجربة عبد الرزاق عبد الواحد عند حدود الشخصية الأحادية، بل يتطور في كثير من نصوصه ليصبح "قناعاً مركباً"؛ حيث تتعدد الأصوات وتتداخل الأغلفة الرمزية لتشكيل "مسرحٍ داخلي" يعبر عن أزمات وجودية وتاريخية.

1. **تعدد الأصوات والحوارية (Polyphony):** في قصيدة "من أين هدوؤك هذه الساعة"، يبرز القناع بوصفه بنيةً حواريةً تتوزع فيها الأدوار على أصواتٍ متصارعة؛ إذ يحمل كل صوتٍ قناعاً وظيفياً: قناع الفداء (الذي يذوب في الجماعة)، وقناع الشاهد المستحيل (الممزق بين كونه شاهداً وضحية)، وقناع اللعنة الأخلاقية (الذي يمثل الضمير الجمعي المحاكم للقتلة والمتواطئين)[39]. هذا التعدد يخرج القصيدة من غنائية "الأنا" إلى رحابة الدراما الجماعية، ويجعل من النص محاكمةً رمزية مستمرة للأزمنة المأزومة[40].
2. **القناع الوجودي وصراع الذات:** في "ألواح الدم"، يتخذ القناع بعداً وجودياً؛ إذ يواجه الشاعرُ "صوتاً داخلياً" يناديه باسمه، كأنه نبوءةٌ أو ضميرٌ يطالبه بـ "الخروج من الجلد" وفتق الجراح لتبصر الروح[41]. هنا، يتجاوز القناع الشخصية التراثية ليصبح مرآةً للذات في صراعها مع الموت والكتابة. وحين يخلص النص إلى أن "السكوت أبلغ الآيتين"، فإنه يعلن عجز اللغة عن احتواء الفجيعة، مُظهراً أن القناع—رغم تعقيده—يبقى أداةً لمحاولة قول ما لا يُقال[42]. ويتجلى هذا البعد في "عبور في نهر الموت"، حيث يُوظف الشاعر "قناعاً جماعياً" يتبادل فيه الأحياء والموتى الأدوار في حواريةٍ عبثية، بينما تتحول عناصر الطبيعة كالنخل والشطآن إلى أقنعةٍ رمزية شاهدة على المأساة[43].
3. **القناع الوطني والرمزي:** يوظف عبد الواحد في نصوصٍ أخرى أقنعةً وطنية وشعبية، كما في مخاطبته دمشق بلسان العراق، حيث لا يتحدث الشاعر كفرد، بل كصوتٍ جمعي ("أنا يا دمشق أنا العراق")[44]. وفي "حكاية عن البدء"، تتحول الكلمات نفسها إلى "أقنعة كائنات مقاتلة" (حجارة، عصي، سكاكين)، ترمز إلى مأزق الكلمة حين تعجز عن التحول إلى فعلٍ ثوري[45]. أما في "يا

خال عوف"، فيتحول التوظيف إلى قناعٍ شعبي–وطني يُختزل فيه وجدان الفقد الجماعي. وتصل هذه التقنية إلى أوجها في قصائد مثل "النار والطيبة الصامدة" و"باريس وجنين الثورة"؛ حيث تتصارع الأقنعة الحضارية: باريس كقناعٍ للحرية الزائفة والخذلان، في مقابل "الريح" كقناعٍ كونيٍ للحرية الحقيقية التي لا تُحد[46]. إنَّ هذا التناقض يجسد رؤية الشاعر للحرية بوصفها قوةً طبيعيةً لا تُقهر، في مواجهةِ مدنٍ ترفع شعاراتٍ ميتة.

تؤكد هذه التشكيلات البنائية أن عبد الرزاق عبد الواحد لا يستخدم القناع لزينةٍ فنية، بل لـ "بث الروح في الكلمات"، محولاً التجربة الفردية إلى وثيقةٍ وطنيةٍ وإنسانيةٍ عامة، ومؤكداً أن الشعر هو الفضاء الذي تتعانق فيه مأساة الفرد مع فجيعة الجماعة.

وقد وقع اختيارنا على هذه النصوص (مثل "لعنة الشيطان"، "الحر الرياحي"، "يا صبر أيوب") لكونها تمثل ذروة التوظيف القناعي عند عبد الرزاق عبد الواحد، ولتنوعها البنائي الذي يتدرج بين النمط البسيط والمركب، مما يسمح بتغطيةٍ شاملةٍ لجماليات هذه التقنية في تجربته التي امتدت عبر عقود من التحولات السياسية والاجتماعية".

الخاتمة: النتائج والتوصيات

بعد هذا الطواف في أروقة التجربة الشعرية لعبد الرزاق عبد الواحد، وفي ضوء تحليل تقنيات "القناع" وتشكيلاتها البنائية في نصوصه، نصل إلى جملة من النتائج والاستنتاجات التي تضع ملامح هذه التجربة في سياقها النقدي، متبوعةً بتوصياتٍ تفتح آفاقاً لبحوثٍ مستقبلية.

أولاً: النتائج والاستنتاجات:

خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج التي تُحدد طبيعة "القناع" في التجربة الشعرية للشاعر:

1- تعددية الأقنعة وتنوع المرجعيات: كشفت الدراسة أن عبد الواحد لم يعتمد نمطاً أحادياً للقناع، بل تنوعت مرجعياته بين التاريخي (مثل: الحر الرياحي، الشمر)، والديني (مثل: المسيح، أيوب)، والشعبي (مثل: الجمل في "يا صبر أيوب")، والرمزي (مثل: الريح، النخل، الموت). هذا التنوع يعكس مهارة الشاعر في تطويع الموروث لخدمة رؤية حداثية متماسكة.

2- الوظيفة الاستراتيجية (السياسية والاجتماعية): لم يكن القناع مجرد ترفٍ جمالي، بل تقنيةً استراتيجية للتعبير عن الموقف السياسي والاجتماعي في ظل ظروف القمع والاضطراب، مما

سمح للشاعر بتجاوز "المباشرة التقريرية" إلى "الترميز المبطن" الذي يمرر الرؤى الحرجة بعيداً عن صدمة الرقابة.

3- تحول الذات إلى صوتٍ جمعي: أثبتت الدراسة ميل الشاعر إلى تحويل أقنعته من "ذواتٍ فردية" إلى "أصواتٍ جماعية"؛ حيث تتلاشى "الأنا" الفردية لتذوب في "نحن" الوطنية والإنسانية، مما يُحول التجربة من معاناةٍ شخصية إلى وثيقةٍ وجدانية تُعبر عن مأساة الوطن.

4- جدلية الماضي والحاضر: ينهض القناع عند عبد الواحد على جسرٍ متين بين الجذور التراثية (الدينية والشعبية) وبين الواقع المعاصر، حيث لا يستدعي الشاعر الماضي لذاته، بل يعيد إنتاجه في سياقٍ حداثيٍ يُكسبه فاعليةً دلاليةً متجددة.

5- البنية الدرامية (تعدد الأصوات): كشفت الدراسة أن القناع أتاح للشاعر تحويل نصوصه إلى "فضاءٍ درامي" (كما في مسرحية الحر الرياحي)، حيث تتحاور الأقنعة وتتقاطع أصواتها، مما منح نصوصه طاقةً مسرحية وشعرية متوازية.

ثانياً: التوصيات:

بناءً على ما تقدم من نتائج، يوصي الباحث بالآتي:

1. توسيع الدراسات المقارنة: ضرورة ربط توظيف القناع عند عبد الرزاق عبد الواحد بأقرانه من رواد الشعر الحر (مثل بدر شاكر السياب أو محمود درويش)، لرصد الفروق الأسلوبية والفلسفية في استيعاب التراث وتوظيفه.
2. الربط بالسياق السياسي: تعميق القراءة النقدية لأقنعة عبد الواحد في ضوء السياق السياسي والاجتماعي العراقي المعاصر، لما تحمله رموزه من دلالات مرتبطة بتجارب الاحتلال، والمنفى، والاضطهاد.
3. الإفادة من النقد الثقافي: استخدام تقنية القناع كأداة في النقد الثقافي، لفهم آليات علاقة المثقف بالسلطة، وكيف يُشكل الشاعر "رموزه الخاصة" لتسجيل موقفه في التاريخ.
4. توسيع دائرة التطبيق: تشجيع الباحثين على إجراء دراساتٍ تطبيقية تفصيلية لنصوصٍ بعينها (مثل: "يا صبر أيوب"، "ألواح الدم"، "النار والطيبة الصامدة")، للكشف عن التداخل السيميائي والجماليات الخاصة بكل قناع على حدة.

الهوامش:

(1) ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، ج3، ص300.

(2) عبد الوهاب البياتي، تجربتي الشعرية، ديوان البياتي، دار العودة، بيروت، 1972، ج2، ص406، 409.

(3) د. إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق، عمان، 1992، ط2، ص121.

(4) خليل موسى، بنية القصيدة العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص209.

(5) خالدة سعيد، حركية الإبداع، دار العودة، بيروت، ط3، 1986، ص125.

(6) أحمد زهر رحاحلة، القصيدة الطويلة في الشعر العربي المعاصر، دار الحامد، عمان، 2012، ص316.

(7) خليل موسى، بنية القصيدة العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص209.

(8) علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة دار العلوم، القاهرة، 1978، ص145 وما بعدها.

(9) جابر عصفور، أقنعة الشعر العربي المعاصر: مهيار الدمشقي، مجلة فصول، القاهرة، المجلد 1، العدد 4، 1981، ص124-125.

(10) علي جعفر العلاق، الشعر والتلقي: دراسات نقدية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1997، ص105.

(11) صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة، دار الآداب، بيروت، ط1، 1995، ص100-101.

(12) مسعود وقاد، القناع الصوفي في شعر عبد الوهاب البياتي، مجلة الآداب، كلية الآداب واللغات، جامعة الوادي، العدد 121، 2017، ص200.

(13) علي حداد، أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص149

(14) عبد الله أبو هيف، قناع المتنبي في الشعر العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004، ص15

(15) محمد سالم سعد الله، دراسات في النقد المعاصر، عالم الكتب الحديث، إربد، 2000، ص80

(16) محمد علي كندي، الرمز والقناع في الشعر العربي المعاصر، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2003، ص77

(17) المصدر نفسه، ص171

(18) عبد الله أبو هيف، قناع المتنبي في الشعر العربي الحديث، المرجع السابق، ص29

(19) محمد صابر عبيد، جماليات القصيدة العربية الحديثة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2001، ص74

(20) عبد الله أبو هيف، قناع المتنبي في الشعر العربي الحديث، المرجع السابق، ص33

(21) سامح رواشدة، القناع في الشعر العربي الحديث: دراسة في النظرية والتطبيق، مطبعة كنعان، 1995، ص52

(22) محمد حسون نهاي، الأثر الديني في شعر عبد الرزاق عبد الواحد، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 20، 2021، ص20

(23) ضياء الثامري، قصيدة القناع في الشعر العربي الحديث، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، 1991، ص19

(24) إيمان محمد أمين الكيلاني، بدر شاكر السياب: دراسة أسلوبية في شعره، دار وائل للنشر، عمان، ط1، 2008، ص125

(25) علي حداد، أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص112-113

(26) علي حداد، المرجع السابق، ص115

(27) آمنة بتعلى، الرمز الديني عند رواد الشعر العربي الحديث، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1989، ص56.

(28) سعد الدين كليب، وعي الحداثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص102-113.

(29) محمد علي كندي، الرمز والقناع في الشعر العربي المعاصر، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2003، ص183-184

(30) محمد علي كندي، المرجع السابق، ص180

(31) محمد علي كندي، المرجع السابق، ص180.

(32) سحر محمود محمد أحمد، التناص ونظرية الأجناس الأدبية: دراسة تطبيقية في قصيدة 'عام الفيل' لعبد الرزاق عبد الواحد، مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، م42، ع1، يونيو 2023، ص883

(33) محمد حسون نهاي، الأثر الديني في شعر عبد الرزاق عبد الواحد، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 20، 2021، ص227.

(34) ديوان عبد الرزاق عبد الواحد، ج1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2002، ص15، 19.

(35) محمد حسون نهاي، الأثر الديني في شعر عبد الرزاق عبد الواحد، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 20، 2021، ص20.

(36) عبد الرزاق عبد الواحد، في رحاب الحسين، متاح على: https://forums.alkafeel.net/node/13996

(37) ديوان عبد الرزاق عبد الواحد، ج4، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2002، ص185.

(38) ديوان عبد الرزاق عبد الواحد، ج2، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2002، ص25، 83، 97.

(39) ديوان عبد الرزاق عبد الواحد، ج2، المرجع نفسه، ص192.

(40) ديوان عبد الرزاق عبد الواحد، ج3، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2002، ص260-261.

(41) ديوان عبد الرزاق عبد الواحد، ج1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2002، ص444-445.

(42) ديوان عبد الرزاق عبد الواحد، ج3، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2002، ص19

(43) ديوان عبد الرزاق عبد الواحد، ج1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2002، ص141-142

(44) ديوان عبد الرزاق عبد الواحد، ج1، المرجع نفسه، ص186

(45) ديوان عبد الرزاق عبد الواحد، ج1، المرجع نفسه، ص245-246.

(46) ديوان عبد الرزاق عبد الواحد، ج1، المرجع نفسه، ص265.

المصادر والمراجع:

1- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

2- أحمد زهر رحاحلة، القصيدة الطويلة في الشعر العربي المعاصر، دار الحامد، عمان، 2012.

3- إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق، عمان، ط2، 1992.

4- آمنة بتعلى، الرمز الديني عند رواد الشعر العربي الحديث، (رسالة ماجستير)، جامعة الجزائر، 1989.

5- إيمان محمد أمين الكيلاني، بدر شاكر السياب: دراسة أسلوبية في شعره، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008.

6- جابر عصفور، أقنعة الشعر العربي المعاصر: مهيار الدمشقي، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد 1، العدد 4، 1981.

7- خالدة سعيد، حركية الإبداع، دار العودة، بيروت، ط3، 1986.

8- خليل موسى، بنية القصيدة العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003.

9- ديوان عبد الرزاق عبد الواحد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002.

10-سامح رواشدة، القناع في الشعر العربي الحديث: دراسة في النظرية والتطبيق، مطبعة كنعان، 1995.

11-سحر محمود محمد أحمد، التناص ونظرية الأجناس الأدبية: دراسة تطبيقية في قصيدة عام الفيل لعبد الرزاق عبد الواحد، مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، المجلد 42، العدد 1، يونيو 2023.

12-سعد الدين كليب، وعي الحداثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000.

13-صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة، دار الآداب، بيروت، ط1، 1995.

14-ضياء الثامري، قصيدة القناع في الشعر العربي الحديث، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة البصرة، 1991.

15-عبد الرزاق عبد الواحد، في رحاب الحسين، (موقع الكفيل)، متاح على الرابط: https://forums.alkafeel.net/node/13996

16-عبد الله أبو هيف، قناع المتنبي في الشعر العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004.

17-عبد الوهاب البياتي، تجربتي الشعرية، (ضمن: ديوان البياتي)، دار العودة، بيروت، 1972.

18-علي جعفر العلاق، الشعر والتلقي: دراسات نقدية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1997.

19-علي حداد، أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.

20-علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة دار العلوم، القاهرة، 1978.

21-محمد حسون نهاي، الأثر الديني في شعر عبد الرزاق عبد الواحد، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 20، 2021.

22-محمد سالم سعد الله، دراسات في النقد المعاصر، عالم الكتب الحديث، إربد، 2000.

23-محمد صابر عبيد، جماليات القصيدة العربية الحديثة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2001.

24-محمد علي كندي، الرمز والقناع في الشعر العربي المعاصر، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2003.

25-مسعود وقاد، القناع الصوفي في شعر عبد الوهاب البياتي، مجلة الآداب واللغات، جامعة الوادي، العدد 121، 2017.